ينفذه منتدى معلمي إذنا بدعم من مركز القطان
برنامج الذاكرة التربوية
يحاور بدرية السويطي مديرة مدرسة بنات بيت عوا الثانوية

برنامج الذاكرة التربوية هو برنامج توثيقي ينفذه منتدى معلمي إذنا بدعم من مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، يسعى هذا البرنامج إلى توثيق تأريخي لصيرورة التربية في مدينة الخليل ومحافظتها، عبر تسجيل بصري لمعلمين عايشوا العملية التعليمية خلال مراحلها المختلفة. وقد أجرى هذه المقابلة كل من مشهور البطران وفؤاد الطميزي.

ضيفتنا اليوم في برنامج الذاكرة التربوية هي الآنسة بدرية السويطي، مديرة مدرسة بنات بيت عوا الثانوية. رحلتها في التربية جديرة بالتأمل والاستكشاف. الرحلة ابتدأت منذ أواسط ستينيات القرن الماضي كتلميذة في الصف الأول الابتدائي في مدرسة مبنية من الطين، ما لبثت هذه المَدرسة أن تحولت إلى كومة من تراب بفعل القصف الإسرائيلي العام 67؛ لتتحول المَدرسة إلى مجموعة من الخيام مقدمة من الحكومة السويدية، يؤمها اللاجئون للعلم في قرية دمرها الاحتلال تدميراً كاملاً. رحلة ضيفتنا التعليمية تستمر منطلقةً من الخيمة إلى مدارس دورا، ومن ثم إلى فضاءات بيروت، لتعود إلى نقطة الانطلاق الأولى كأول فتاة في بلدتها تحمل الشهادة الجامعية.

■ الأخت بدرية أهلاً وسهلاً، والسؤال الاعتيادي: من هي بدرية السويطي الإنسانة؟

● لو أردت التعريف على نفسي فأنا بدرية السويطي؛ ابنة بيت عوا، القرية التي كانت هادئة يوماً ما، والتي تحولت إلى بلدة صاخبة. بدرية السويطي هي أم لمجموعة من الطالبات أو لعدد كبير من الفتيات اللاتي لم تنجبهن.

مدرسة من خيام

■ في حديث سابق تحدثت عن مدرسة من خيام، ومفهوم الخيمة في الذاكرة الفلسطينية يتعلق مع مفهومي النكبة واللجوء. ما هي قصة الخيام؟ وما قصة هذه المدرسة؟

● في بداية الستينيات كانت بيت عوا بلدة تفتقر إلى مدرسة للإناث. بدأت رحلة التعليم للإناث تقريباً العام 65. وفي العام 67 حدثت النكسة، ودخلت قوات الاحتلال ودمرت العديد من البلدات والقرى الفلسطينية، وكانت بلدتي من القرى التي دمرها الاحتلال، دمر كل بيوتها، ولجأ الناس إلى الجبال. بعد العودة، بدأ الناس بإعادة بناء ما دمر، وتبرعت الحكومة السويدية بخيمة لكل رب أسرة، وخصصت خيمة كبيرة لتكون مَدرسة لكل طالبات البلدة. عملياً، رحلة الخيام واللجوء هي رحلة كل مواطن فلسطيني، ولكن نكبة هذه البلد كانت أقسى من غيرها. كانت المدرسة كلها عبارة عن خيمة واحدة كبيرة، فيها صفوف عدة، والمعلمة تتنقل فيها بين مجموعة من الصفوف: صف أول، ثان، ثالث، رابع، في الخيمة نفسها والمعلم نفسه. هذه بداية التعليم في الخيام.

■ كم صفاً كان في هذه الخيمة؟

● في البداية كان فيها ستة صفوف، من الأول الأساسي وحتى السادس، ست شعب دراسية في الخيمة نفسها.

■ كيف كانت المعلمة توفق بين ستة صفوف في خيمة واحدة؟

● كانت عملية صعبة جداً، كانت المعلمة تدخل إلى الخيمة، تبدأ من الصف الأصغر إلى الأكبر، توزع الزمن بحيث تعطي عشر دقائق أو ربع ساعة للصف، ثم تشغله بأعمال كتابية، ثم تنتقل إلى الصفوف الأخرى... وهكذا. وفي أثناء ذلك، كانت بقية الصفوف تلتزم الهدوء، ومما ساعد أن عدد الطالبات في الشعبة الدراسية كان قليلاً. ما اذكره أن عدد طالبات الصف حين كنا في الثالث والرابع الأساسيين حوالي 12 أو 13 طالبة فقط.

■ وإلى متى استمرت مدرسة الخيام؟

● حوالي سنتين، سنة كاملة كانت في الخيمة، ثم تم بناء اثنين من البركسات، كل بركس فيه شعبتان، واستأجرت غرفة إلى جانب البركسات كانت فيها شعبتان.

مدرسة اليوم.. ومدرسة الستينيات

■ إذا ما أردنا أن نضع مقارنة لمدرسة اليوم بمدرسة أواسط الستينيات، هل لك أن تصفي لنا أجواء مدرسة الستينيات، كيف كانت هذه المدرسة من حيث شكل التعليم، المناهج، علاقة المعلم بالطالب، علاقة المدرسة بالمجتمع المحلي؟

● إذا أجرينا مقارنة ربما أعود إلى تفضيل ما كان في أواسط الستينات عما هو اليوم. فلو تكلمنا بداية عن علاقة المدرسة بالمجتمع المحلي، من حيث انتهيت بسؤالك، فقد كانت علاقة طيبة جداً، بحيث أن الهيئة التدريسية التي كانت تدرس في القرية جميعهم وافدون من مدن بعيدة من نابلس ومن شرق الأردن من السلط، كانوا يسكنون داخل البلد، أي يتم استئجار غرف سكنية لهم داخل البلد، وبالتالي كانت علاقتهم قوية جداً مع الأهالي، وكان أولياء الأمور يتابعون تعليم أولادهم بعد انتهاء الدوام المدرسي.

أما المناهج التي كانت قديماً فهي عبارة عن مناهج تقليدية، تعليم القراءة والكتابة، كنا نتعلم القراءة والكتابة والحساب والدروس الأخرى، كنا نحفظ هذا الكلام غيباً ونردده، فكانت تلك هي الأساس أو المنهاج الأساسي للتعليم، فلا يمكن أن ينتقل الطالب من الصف الأول للصف الثاني دون معرفته القراءة والكتابة. في هذه الأيام الأمر مختلف، إذ نلاحظ حالياً أن بعض الطلبة يصلون المرحلة الثانوية وكأنه أميّ لا يعرف القراءة ولا الكتابة. أما بالنسبة للهيئة التدريسية أو علاقة المعلم بالطالب، فقد كانت علاقة ود واحترام وهيبة، أي أن المعلم كان له هيبة أكبر من هذه الأيام، وكان الطالب يخجل من معلمه، المعلم له قدسية، ينظر له كإنسان مهم في المجتمع.

■ أسال عن مفهوم القدسية، من أين مصدر هذه القدسية باعتقادك؟
● لأن هذا الأمر كان دارجاً، وهذه مواصفات عامة للمعلم، ليس في هذه البلدة فحسب، بل في كل المناطق في العالم العربي، كانت النظرة للمعلم نظرة توقير.

■ يعني في اعتقادك، من أين مصدر هذه النظرة؟
● دائما نكرر ونعيد: من علمني حرفاً كنت له عبداً، كان الطلبة أيام زمان يعملون بها كنصيحة، على اعتبار أن المعلم هو المربي وهو الأب وهو الحاني إلى ما غير ذلك من هذه الصفات. أيضاً كان المتعلمون قله بين الناس، وعدد الناس الأميين هائل، وبالتالي كانت النظرة للمعلم نظرة قدسية، يعتبره الناس الأعلم والأكثر فهماً؛ لأنه حامل المعرفة للناس، أي أن من يريد أن يتعرف أو يتعلم شيئاً يذهب إلى المعلم ويسأله، ويعتبر أن كل ما يتحدث به المعلم صحيح مائة بالمائة.

■ ولكن من جانب آخر، المعلم كان يتبوأ مكانة اقتصادية مرموقة، برأيك هل هذه المكانة الاقتصادية عززت النظرة التقديسية للمعلم؟
● نعم، كان المعلم يملك من المال ما يوفر له المأكل والملبس والمسكن المريح أكثر من غيره من فئات الناس.

تعليم المرأة

■ في هذه الفترة، فترة الستينيات، هل كان تعليم المرأة رائجاً في هذه البلدة بالتحديد؟
● بدأ تعليم البنات في قرية بيت عوا في أواسط الستينيات، فأول مدرسه ابتدائية للبنات، كنت أنا فيها في الصف الأول في العام 64، وكان فيها الصف الثاني والصف الثالث كأعلى صف، واذكر أن عمر الطالبات في الصف الثالث كان يتراوح بين 14 – 15 عاماً، فكان هذا الصف متفاوت الأعمار، أي أن البنت من عمر 6 سنوات حتى 15 سنة كانت في الصف الدراسي نفسه، لأنه أول صف افتتح في القرية.
بالنسبة للذكور، كان هناك مدرسة للذكور حتى الصف السادس الابتدائي، بعدها ينتقلون إلى قرية دير سامت للصف التاسع، وبعدها إلى بلدة دورا للصف الأول ثانوي، ومن ثم إلى مدرسة الحسين بن علي في الخليل.
بالنسبة للإناث، بقيت المدرسة تكبر وتنمو معنا إلى الصف الثالث الإعدادي، بعدها كانت مرحلة انتقال إلى بنات دورا الثانوية لمدة ثلاث سنوات، حتى في بنات دورا الثانوية لم يكن هناك فرع للعلمي، كان للأدبي فقط، طبعاً أنا دخلت الفرع الأدبي على الرغم من ميولي العلمية؛ لأنه لم يكن موجوداً فرع علمي في البلدة، وكان يتوجب أن أذهب للخليل، والمواصلات صعبه لذلك درست أدبي في دوراً.

■ أكملت دراستك الثانوية في مدرسة بنات دورا الثانوية للبنات، وأنا أفترض أن هذه المدرسة كانت مدرسة مجمعة من قرى عدة، ما هي ميزة مثل هذه المدارس المجمعة؟
● هي أفضل من المدارس المتجانسة، أذكر أننا كنا من قرى منطقة الخطوط الغربية: (دير سامت، وبيت عوا، والمجد، والبرج، والفوار) والقرى الجنوبية كلها كانت في مدرسة بنات دورا، وكانت المدرسة عبارة عن خليط بأفكار مختلفة وأناس مختلفين، وكل مجموعة من منطقة مختلفة ومدرسة مختلفة أو من اتجاه مختلف، بالتالي يتعرف الفرد ويطلع على أفكار الآخرين وآرائهم وبنياتهم الشخصية، وحسب اعتقادي فهذه المدارس تساعد في صقل شخصية الفرد بطريقة أفضل.

■ الآن أكملت الدراسة الثانوية بنجاح لتعبري إلى مرحلة التعليم الجامعي، في تلك المرحلة في العام 1977، ما هي الفرص التي كانت متاحة لطالبات مثلك؟
● فرصة التعليم للبنات كانت ضعيفة جداً، أفضل طموح ممكن للطالبة أن تصل إلى التوجيهي، فالطالبات بعد التوجيهي يحرمن من إكمال تعليمهن الجامعي، إلا أنه من الممكن أن تدخل معاهد خياطة أو أي شي ليس له علاقة بالتعليم الجامعي، لان النظرة للتعليم الجامعي سيئة جداً بسبب الاختلاط في الجامعات حسب رأي المجتمع في ذلك الوقت.

■ أين درست المرحلة الجامعية؟
● المرحلة الجامعية درستها في جامعة بيروت العربية.

■ هل كان من السهل على فتاة أن تسافر إلى بيروت في تلك الفترة؟
● طبيعي كانت صعبة جداً، وأكثر حتى من صعبة، بعد أن نجحت في امتحان الثانوية العامة، اجتاحتني الرغبة في أن أكمل تعليمي الجامعي، إلا أن المجتمع كان يرفض مفهوم الجامعة، هذا بالنسبة للبنات، أما بالنسبة للشباب فكان يسمح لهم. عرضت الفكرة على أهلي، ولم يقتنعوا بها، إلا أني بقيت على إصرار، يوماً بعد يوم، وفي كل لحظة أقول لهم أريد أن أدرس في الجامعة، وكان الرفض حليفي. بطريقه أو بأخرى أقنعت والدي- رحمه الله- أن أدخل الجامعة.
كان والدي في تلك الأيام يذهب كل ليلة إلى ديوان العشيرة حيث يسهر هو والرجال، وكان موضوع الجامعة والناجحين من المواضيع التي تناقش في جلساتهم، ومن الأسئلة التي طرحت أين ستدرس البنت؟ إلى أي جهة؟ سمعنا أنك تريد إرسالها إلى الجامعة. أنت لا بتعرف أن البنت في الجامعه تجلس بين أربعة شباب، شاب أمامها، وشاب على يمينها، وشاب على يسارها وآخر من خلفها، أيقبل شخص لابنته هذا الشكل؟! ويجيبهم لا. حينها يغادر المجلس ليلاً متوجها إلى البيت، وحين يصل يناديني ويخبرني أنه لا يجوز أن أذهب إلى الجامعة، لأن الوضع هناك لا يناسب أي بنت. وهكذا أعود إلى حيرتي وحزني من جديد، كيف سأستطيع إقناعه من جديد؟ لأن ما اتفقنا عليه بالأمس لم يعد موجودا اليوم! لكنني بقيت كما أنا صامدة وعلى يقين بأنني سأقنعه، لأن الرغبة في الدراسة الجامعية

سيطرت على أفكاري، فقررت أن أبحث عن طريقة أخرى لإقناعه غير الكلام، وكانت الفكرة إعلان الإضراب عن الطعام، وفعلاً بدأت الإضراب ولمدة ثلاثة أيام دون أن أتناول أي شيء.

■ أضربت عن الطعام؟!

● نعم، وليس عن الطعام والأكل فقط، بل حتى المشرب، فكان صياماً كاملاً ليلاً ونهاراً، وقد صاحبني إلى جانب ذلك البكاء باستمرار، وحين تحاول والدتي إقناعي بالأكل لا أرد عليها إلا أنا أريد أن أدرس في الجامعة، بعدها شعرت أنه -رحمه الله- قد حزن علي، واقتنع بفكرة أن يرسلني إلى جامعة الخليل، حيث كانت كلية الشريعة فقط حينها اقتنع. قال: اذهبي إلى كلية الشريعة بالخليل.

ولم أقبل العرض لأنني لم أكن حينها أرغب في الدراسة بكلية الشريعة، وفي الليلة الثالثة سمعته يتحدث مع أمي، يقول لها: "البنت طوال النهار تبكي ولا تأكل ولا تشرب. اسمعي! لدينا ثمانون ديناراً أعطها إياهن، وأينما راحت تروح".

شعرت أنه شفق على حالتي حينما قال "أينما راحت تروح"، اذهبي سجليها في الجامعة، اسألي الناس والطلاب أين يتم التسجيل وسجلوها. في ذلك اليوم صحوت من النوم، وزفت لي الوالدة بشرى موافقة والدي على التسجيل في الجامعة، وذهبنا سوياً إلى مدينة الخليل، حيث يوجد مكتب خدمات جامعية، وسجلت منتسبة إلى جامعة بيروت العربية. طبعاً، عندما ذهبت للتسجيل في المكتب كان عدد من الطلبة موجودين هناك، وبعض المراجعين وسألوني: ما المبحث الذي تريدين دراسته؟ قلت: أي شيء المهم أسجل. فالموجودون هنالك قالوا: سجلي لغة عربية أسهل شيء. سجلت لغة عربية ودرستها، ولم تكن لي الرغبة فيها، لكن الظروف حكمت وكان أهم شيء أنني سألتحق بالجامعة، ومهما كان أفضل بالنسبة لي من دراسة الشريعة.

الدراسة في بيروت

■ في هذه الفترة التي سافرت فيها إلى بيروت كانت بيروت غارقة في مستنقع حرب أهلية، وكانت منظمة التحرير جزءاً من المشهد السياسي والفكري في بيروت، كطلاب فلسطينيين كيف كنتم تتفاعلون مع هذه الأحداث؟

● الطالب الفلسطيني خارج من رحم المعاناة، وكانت بيروت مركزاً للكفاح المسلح الفلسطيني، مجرد رؤية الطالب الجامعي لأفراد الكفاح المسلح تعتبر بالنسبة لهم مصدر اعتزاز وفخر، هذا من جهة، من جهة ثانية اتصال الطلاب الفلسطينيين مع أفراد من منظمة التحرير كان يتم بحذر شديد، لأنه حتى مجرد مشاهدتك لأناس أو تعرفت على أحد أو تحدثت مع أي أحد هناك هي بحد ذاتها تهمة عقوبتها السجن ستة شهور، لأن الاتصال بأي شخص في منظمة التحرير يعني في عرف الإسرائيليين الانتماء لفصيل معين، وهذه تهمة عقوبتها السجن، فكان الطلاب يتعاملون مع الموضوع بحذر شديد، وكثير من الطلاب لم يرجعوا إلى الوطن خوفاً من عقوبة السجن، يعني أي طالب انتمى لمنظمة التحرير لم يعد إلى الوطن، وبقوا إما في سورية أو الأردن، أو لبنان، ولم يعودوا أبداً.

■ من الأعلام الفلسطينيين اليوم الذين نشاهدهم على وسائل الإعلام هل سبق وأن شاهدت أحداً منهم في بيروت مثلاً؟

● نعم.

■ مثل من؟

● مثل الأخ ماجد أبو شرار رحمه الله.

بعد التخرج

■ بعد جامعة بيروت عدت إلى فلسطين، ماذا عملت بعد العودة؟

● رحلة العمل بدأت وأنا طالبة في الجامعة، لأني أعرف الظروف الاقتصادية التي تمر بها العائلة، وحين تم تسجيلي في الجامعة كانت الأسرة تملك ثمانين ديناراً لا يوجد غيرها، وبالتالي بحثت عن عمل في الأردن في مدينة عمان، واشتغلت في مؤسسة الاتصالات طوال فترة الدراسة الجامعية، بمعنى أنني لم أكلف أهلي عناء المصروف الجامعي بعد السنة الأولى، واعتمدت على نفسي لتوفير كل الاحتياجات الجامعية.

عدت إلى فلسطين، كان مجال العمل بعد التخرج صعباً جداً، فما كان في مجال للوظيفة في التربية أيام الاحتلال، من له واسطة يعمل،

من إضراب المعلمين في قطاع غزة. (عدسة: وكالة "معاً")

ومن لا يوجد له واسطة لا يجد له وظيفة، وبالتالي بحثت عن العمل البديل، وعملت في بلدية الخليل ومكتبة البلدية مدة أربع سنوات. أنا خريجة سنة 81، وتعينت في التربية سنة 87، ست سنوات وأنا في كل سنة أجدد الطلب؛ وأبحث عن الواسطة التي ستساعدني في الحصول على الوظيفة حتى عينت في سلك التربية والتعليم العام 87، بالمناسبة تعينت بعد طول الانتظار أيضاً بالواسطة.

■ تعينت في التربية في العام 1987، ودائما أول يوم في المدرسة مميز وله وقع خاص، وأنا أتذكر السكاكيني في مذكراته "أول درس ألقيته" كيف كان يومك الأول كمعلمة في المدرسة؟

● هذا السؤال جميل جداً، أنا تعينت بدل معلمة سافرت في بداية الفصل الثاني في مدرسة دار السلام الأساسية في دورا، كان اسم المدرسة بنات أم القرى الإعدادية. ذهبت إلى المدرسة وسلمتني المديرة مهام عملي. لم تدخل معي إلى الصفوف، ولم تعرفني على الطالبات، ولم تعرف الطالبات علي، وإنما أعطتني البرنامج وقالت لي تفضلي على الصف. ذهبت إلى الصف، كان أعلى صف في المدرسة وهو الثالث إعدادي -تاسع حالياً- وطلبة الثالث إعدادي كان حينها يقدمون المترك، أي امتحان وزارة شبيه بالتوجيهي حالياً. وكان هذا الصف له خصوصية واهتمام خاص من المدرسة. ذهبت إلى الصف، أول شيء أذكره ولن أنساه، أن الطالبات طلبن مني أوراق امتحانات كانت لهن مع المعلمة السابقة، "تعاملت مع طلبهن ببساطة وسذاجة وذهبت إلى المديرة وطلبت منها الأوراق للطالبات، تعاملت معي المديرة بطريقة غير مناسبة، وقالت لي: أنت منذ أول يوم تسمحين للطالبات بأن يهززن بك، اذهبي إلى صفك ولا تردي عليهن. قد تكون هذه العبارة جعلتني أتعامل بعدها بطريقة مختلفة مع الطالبات ومع الهيئة التدريسية. وأيقنت أن شخصية المعلم داخل المدرسة يجب أن تكون مختلفة وقوية، بحيث لا تترك مجالا للنقد.

■ يعني أفهم من هذا الكلام أن المعلم خصوصاً الجديد - وهذا جزء من ثقافتنا المدرسية- يكون مستهدفاً من قبل زملائه المعلمين؟

● نعم.

علاقة المعلم بـ"المفتش"

■ ننتقل الآن إلى موضوع مهم وهو المشرف التربوي، أو ما كنا نسميه بلغتنا قديما المفتش، في الثمانينيات كان مفهوم المفتش دارجاً، ويبدو أنه كان جزءاً من الثقافة المدرسية، كيف كانت علاقة المعلم بهذا المفتش؟

● أتخيل كان فيها نوع- إن جاز لي التعبير- من الرعب، لأني أذكر وأنا معلمة، في يوم من الأيام بدأنا الدوام كالمعتاد، ثم فوجئنا بمجموعة من المفتشين حوالي خمسة أو ستة، وبسرعة البرق ودون استئذان دخلوا على الصفوف بطريقة رهيبة، وبعد انتهاء الحصة قالوا للمعلمين:
"تعالوا على غرفة المديرة ... هذا غلط، هذا خطأ، ليس كذلك التدريس".
لم يكونوا يبحثون عن الإيجابيات الموجودة في المعلم، بل فقط تفتيش عن الأخطاء، فكانت العلاقة بين المشرف والمعلم علاقة خوف، لا يوجد رابط صداقة تربط بين المعلم والمشرف، ولا تفهم للعمل التربوي كما يجب.

■ هذه الحادثة في الثمانينيات أم هذه الأيام؟

● نعم في الثمانينيات.

مفتش الأمس ومشرف اليوم

■ هل تشعرين أن الأمر اختلف اليوم بين مفتش الأمس ومشرف اليوم؟ ما شكل هذا الاختلاف إن وجد ونوعه؟

● أنا اعتقد أن الاختلاف ليس كبيراً، المسمى اختلف، بدل ما كان مفتشاً أصبح مشرفاً تربوياً. أنا افترض أن المشرف يجب أن يبحث عن الإيجابيات الموجودة في المعلم ويعززها. ربما هذه الأيام- نوعاً ما- الوضع أفضل من السابق، فبعض المشرفين -وهم قلة- يحاولون البحث عن الإيجابيات وتعزيزها، وحتى نقل الخبرات الجيدة إلى الزملاء، ويعطون المعلم انطباعاً إيجابيا أكثر من السلبي. ولكن بشكل عام، الوضع هو هو، فقط نمقت الكلمات، وأصبحوا يسمونها تغذية راجعة، ولكنها في المضمون غير بعيدة عن بعض، فلا يوجد فرق كبير بين الأمس واليوم. يعني في المضمون ما زال الأمر واحداً، وما زال التفتيش وارداً، وإذا سأل المعلم المشرف عن تفسير للنقاط السلبية في التقرير، يجيبه: "أنت لا تريد ولا نقطة سلبية، أنا يجب أن أضع نقاطاً سلبية، حتى لو كانت غير موجودة".

غارات تفتيشية

■ ما افهمه من كلامك أن الإشراف هو نوع من السلطة، نوع من ممارسة السيادة في المدرسة، ونحن نسمع في هذه الأيام أن المشرفين يداهمون المدارس على شكل غارات، بين الحين والآخر نجد أن عشرين مشرفاً يهاجمون المدرسة فيسألون عن التقارير المالية والتقارير الإدارية وكل صغيرة وكبيرة فيها، كمديرة كيف تنظرين إلى هذه الممارسة.

● هذا شيء مربك للعملية التعليمية في المدرسة بشكل غير عادي، البعض سموه اقتحاماً، المشكلة ليست في عدد الموجهين الذين يحضرون إلى المدرسة، المشكلة في أسلوب المتابعة، منذ زمن وقبل هذه الغارات، كان يحضر أحياناً المراقب الإداري والمراقب المالي إلى المدرسة في اليوم نفسه، يصادف أن يكون أربعة مشرفين في المدرسة، وكنا نتعاون معهم بشكل طبيعي، لكن طريقة الاقتحام، وهذه الحركات إجمالاً لا تفيد العملية التربوية، بل تعطلها وتربكها نوعاً ما دون فائدة.

العلاقة بين المعلم والمدير

■ ما دمنا نتحدث عن علاقات السلطة في المنظومة المدرسية، في إثناء عملك كمعلمه ما أكثر ما يغضبك في العلاقة بين المعلم والمدير؟

● أنا اعتقد أنه لا يوجد ما يغضب بين المعلم والمدير، المعلم والمدير بالأصل موجودان لخدمة الطالب وتفعيل العملية التعليمية، أي أن المعلم والمدير زميلين في موكب واحد، في مسيرة واحدة، في موقع ما وجدا فيه، يمكن أن أكون هذا العام في مدرسة، وفي السنة القادمة يمكن في أن أكون في موقع آخر، فأنا باعتقادي لا يوجد ما يغضب إذا كل واحد يدرك عمله بشكل جيد، وقام به. أنا أرى أنه إذا قام المعلم بعمله اتجاه الطالب بشكل متقن، وقام المدير بعمله اتجاه المعلم واتجاه المدرسة بشكل متقن، فلا شيء يغضب.

■ هذا يفترض أن يكون، ولكن الواقع شيء مختلف، يوجد كثير من

المديرين مولعين بممارسة السلطة على المعلمين وعلى الطلاب؟

• أحيانا يحتاج المدير إلى ممارسة نوع من السلطة، فإذا لم يكن للمدير سلطة يحدث تسيب في المدرسة، وخصوصاً مع الجيل الحالي، وهو جيل التمرد، ولكن في الوقت نفسه يجب ترشيد السلطة في المدرسة، يعني أنه لا تكن ليناً فتعصر ولا تكن صلباً فتكسر، في النهاية يوجد عمل يجب تنفيذه، والمدير مطلوب منه متابعة تنفيذ هذا العمل، علماً بأن نفسيات المعلمين أيضاً مختلفة، بمعنى هي نفس بشرية، والنفس البشرية تختلف من شخص لآخر، بعض المعلمين إذا لم يسأل عن عمله لا يؤديه بشكل متقن. بعض المديرين أيضاً يحب ممارسة السلطة حتى لو كان المعلم يقوم بعمله على أكمل وجه، أنا أرى أنه لا داع للتماس السيئ بين المعلم والمدير، ويفترض أن يكون المدير إيجابياً مع زملائه، يستطيع المدير أن يتابع المعلم، ويحضر عنده دروساً مرات عدة، ويتابع أعماله الكتابية دون أن يشعر المعلم بسلطة المدير.

■ ألا تعتقدين أن الأعمال الكتابية التي تطلب اليوم من المعلمين تشكل عبئاً فعلياً على المعلم؟

• الأعمال الكتابية عبء إذا كانت لا تخدم الموضوع التعليمي. أنا أرى أنه لزاماً على المعلم الجديد الاهتمام بالأعمال الكتابية، يفترض أن يحضّر دروسه، إذا حضّر وكتب فهو يساعد نفسه، لأنه يبحث ويضطر إلى البحث، وبالتالي تسهل عليه معرفة المعلومات وإيصالها للطالب. أما المعلم المتمرس والمتمكن تعليمياً فلديه القدرة أن يعطي حصته بكل هدوء وراحة نفس، فلا داع للإكثار من الأعمال الكتابية بشكلها المكثف.

■ كمديرة للمدرسة، ما هي الصفات التي تحبين توفرها في المعلمة؟

• الصفة الأولى وأهم شيء الانتماء الحقيقي للمهنة، إذا كان المعلم منتمياً انتماء حقيقياً لمهنته فكل ما يتبع ذلك يكون سهلاً؛ لأنه إذا طلب منه عمل يقوم به فإنه لا يتذمر. الصفة الثانية الشخصية، شخصية المعلم الهادئة المتمكنة الجاهزة للبحث وللعمل، هذه الشخصية المحببة لي.

■ بماذا تنصحين المشرفين الذين يزورون المدرسة؟

• على المشرفين أن يتعاملوا مع المعلم كزميل لهم، فإذا تعاملوا مع المعلم كزميل ولم يبحثوا عن أخطائه فمن الممكن الوصول إلى آلية لتحسين العملية التعليمية.

■ نعود إلى ما سبق، إلى بداية الانتفاضة الأولى، كنت معلمة في سنة 87، ومرت المدارس الفلسطينية في فترات إغلاق طويلة إبان الانتفاضة، كيف كانت العملية التعليمية تسير في تلك الفترة؟

• كانت العملية التعليمية تتوقف تماماً، كان الاحتلال الإسرائيلي يغلق جميع المدارس. مثلاً في العامين 87 و88، لم يدم العام الدراسي سوى شهرين فقط.

■ في تلك المرحلة هل كنتم تطرحون بدائل لتعليم شعبي؟

• نعم، كان التعليم الشعبي موجوداً في المساجد والدواوين، أنا شخصياً لم أقم بدور في التعليم الشعبي، لأنني كنت أمر بظروف خاصة، كان اثنان من أخوتي معتقلين في السجن، وكان والدي رحمه الله مريضاً، وبالتالي كنت مسؤولة عن إدارة البيت وشؤونه، لكن زملاء لي كانوا يقومون بهذا العمل في المساجد.

تطلعاتك وأمنيات

■ ما هي تطلعاتك كمديرة فيما يتعلق بالمدرسة؟ ما هي الأمنيات التي تريدينها أن تتحقق في مدرستك؟

• الأمنيات كبيرة: أن نصل بالمستوى التعليمي في المدرسة إلى مستويات أفضل من الوضع الحالي، وأن تكون هناك علاقة تكاملية بين المدرسة والمجتمع المحلي.

العلاقة بين المدرسة والمجتمع

■ بالمناسبة كيف ترين العلاقة بين المدرسة والمجتمع؟

• مدارسنا تفتقر للعلاقات الجيدة مع أولياء الأمور، إذا طلبت من طالب أن يحضر ولي أمره لأمر ما، كأنك طلبت المستحيل، علما بأن لزيارة ولي أمر الطالب إلى المدرسة فائدة كبيرة للطالب والمدرسة، من حيث المتابعة. فالهدف من العلاقة التكاملية متابعة ما يجري داخل المدرسة وما يجري في الأسرة، أي أن يكون الطالب متابعاً من الأسرة ومن المدرسة في آن واحد وفي جميع الحالات، وليس تعليمياً فحسب، بل سلوكياً واجتماعياً أيضاً.

■ في اعتقادك لماذا هذا النفور من المدرسة من قبل المجتمع المحلي؟

• ولي الأمر يبعث الطالب إلى المدرسة ويعتبرها مسؤولة عن تعليمه، فإذا أرسلت إلى ولي أمر، يقول أنا مشغول، أنا . . . لماذا أبعثه إلى المدرسة. يعتبرون المسؤول عن التعليم هو المعلم فقط، أول على آخر يقول أنت تستلم راتباً من أجل ماذا؟ أليس من أجل تعليم الطلاب؟ هذا من جهة، ومن جهة ثانية ظروف الحياة القاسية تجعل الناس بعيدين عن المدرسة. الوضع الاقتصادي وضع سيئ. وربما كان قديماً وضع التاجر والعامل والصانع اقتصادياً أفضل من الموظف، لذلك كانوا يأتون إلى المدرسة.

اليوم وضع المعلم الاقتصادي سيئ، لذلك نجد أن المدرسة لا تشكل طموحاً لكثير من الشباب. وبالنسبة للبنات، فولي الأمر يتركها في المدرسة لفترة ما انتظاراً لابن الحلال، وابن الحلال يأتي عندنا بعد خمس عشرة سنة تقريباً.

■ عزيتِ الأمر إلى أسباب اقتصادية، ولكن أنا افترض أنه في الستينيات والسبعينيات كان الوضع الاقتصادي للناس أسوأ بكثير مما هو عليه الآن، ومع ذلك كان هنالك تواصل بين المدرسة والمجتمع المحلي؟!

• ولكن كانت عملية عكسية، كان الموظف هو الأفضل حالاً من الناحية الاقتصادية. حالياً أصبح التاجر أو العامل هو الأفضل.

■ من ناحية أخرى، هل يجوز لنا أن نقول إن التربية التي يرّوج لها اليوم عمداً في العالم العربي هي التربية المنفصلة عن السياق الاجتماعي الثقافي؟

• هذا يمكن أن يكون موجوداً، بمعنى أن ما نتعلمه في المدرسة ليس له علاقة بالمجتمع. بشكل تقريبي نعم، وبخاصة على صعيد المناهج، مناهجنا، بعضها هو حشو معلومات دون فائدة، لا فائدة علمية ولا فائدة ثقافية ولا فائدة فكرية، مجرد تكرار، ما يعني أن فائدتها على المدى البعيد ليست كبيرة.

أعد المادة للنشر: محمد الطميزي